ثقافة قبطية

بقى المجتمع المصرى متماسكا رغم الإختلاف, موحدا رغم التنوع , لا يعرف التقليل من شأن الآخر أو تكفيره أو إخراجه من دائرة المواطنة.
و إسهاما منا فى تعميق وترسيخ تلك القيم ننشر رؤية بعض الباحثين فى ثقافة التعايش المشترك.

التعايش المشترك : رؤية تاريخية جـ 1

التعايش الفكرى بين المصريين على مدار التاريخ فى تراث مخالفة الرأى دون تحريم أو تجريم

د . عاصم الدسوقى
استاذ التاريخ الحديث بجامعة حلوان

لعل من نافلة القول أن نؤكد على ما سبق التأكيد عليه مراراً وتكراراً بشأن قيمة الحرية الفكرية وقيمة التسامح الثقافى بين المصريين على مدار التاريخ ، وهو التأكيد الذى اضطر جمهرة المثقفين المستنيرين إلى إعادة إشهاره والتذكير به فى ضوء ما أصاب المناخ الثقافى فى مصر من محاولة البعض محاولات مستميتة ودائمة منذ أواخر سبعينات القرن العشرين وما يزالون ، لوضع المصريين فى قالب ثقافى واحد وفى إطار إسلامى فقط وليس فى إطار دينى ، ذلك أن الإطارالدينى يستوعب كل الأديان السماوية وليس دينا بعينه ، وهو إطار اشتهر به المصريون منذ فجر الضمير حين خلع دارسو التاريخ والحضارة عليهم صفة " الشعب المتدين " الذى تحكمه فى علاقاته قيم المحبة والتسامح والحرية والاعتدال والمرح .

وعلى هذا فلا بأس من إعادة التذكير فى هذه المقدمة بأصول ذلك المناخ الثقافى الذى تبلور عبر مسيرة الزمن ابتداء من تعرض مصر لحكم قوى وافدة لها ثقافتها المغايرة بطبيعة الحال ، وكل قوة من تلك القوى الوافدة التى حكمت المصريين تركت أمور السيطرة عليهم لقوة أخرى وافدة ، وهكذا فى سلسلة طويلة

ومتكررة ابتداء من مجىء الفرس فى عام 340 قبل الميلاد وانتهاء بالاحتلال البريطانى 1882 .

ولقد أوجدت هذه المسيرة الطويلة عدة ثقافات فرعية Sub Cultures لكل مجموعة من المجموعات الوافدة سرعان ما اندمج أصحابها فى الخط العام للثقافة المصرية الأصيلة والمتوارثة ، وأصبحت مصر بؤرة تجمعت فيها أشعة ثقافات إنسانية تعانقت بحكم المعايشة مع أشعة الحضارة المصرية ليبزغ منها شعاع للثقافة المصرية يمكن تمييزه وتحديده . ولعل هذا ما كان يعنيه الشيخ محمد عبده بقوله فى عام 1876 " إن الشعب المصرى لا يفنى ولا يندغم فى غيره من الشعوب التى تغلبت على حكومته وقد يندغم الشعب المتغلب عليه فيه ، بل يعيش ويحفظ مشخصاته القومية ، والحكومات أعراض تزول وهو لا يزول " (جريدة الأهرام) .

ولا يعنينا من هذا التطور إلا التأكيد على قيمة التسامح الفكرى والعزوف عن الجدل وعدم استحسان كثرة اختلاف الآراء وخاصة فى أمور الدين ، ومن دلائل ذلك ان اعتناق بعض الأقباط الأرثوذكس المذهب الكاثوليكى أو أحد المذاهب البروتستانتية لم ينشأ عنه صراع وقتال بين الأطراف الثلاثة مثلما حدث فى أوربا مثلاً فى مطلع القرن السادس عشر بين الكاثوليك والبروتستانت فيما عرف بالحروب الدينية ومحاكم التفتيش . وكذلك لم يحدث صراع بين الأقباط الذين أسلموا وبين الكنيسة المصرية بل تركوا الأمور تجرى لحال سبيلها . وكانت هذه الطبيعة مسئولة أيضاً عن أن المصريين الذين أسلموا لم ينساقوا إلى الخلافات المذهبية الخارجة على أهل السنة . كما لم يتقبلوا النزعة الفلسفية التى وردت من بلاد فارس عبر العراق ، أو روح التجمد التى جاءت مع فقهاء المغرب (سيادة المذهب المالكى) ، بل على العكس تغلبت الروح الفنية مما أتاح الفرصة للإبداع فى ميادين الفن والأدب دون قيود تاركين تدبير الأمور للقدرة الإلهية (العبد فى التفكير والرب فى التدبير). وأكثر من هذا أن يهود مصر أنقسموا بين طائفتين وهما : طائفة الربانيين أتباع التلمود ،

وطائفة القرائيين أتباع التوراة ، والخلاف بين الاثنين كما لو كنا نقول إن بعض المسلمين يحتكمون إلى القرآن فقط (أى اتباع التلمود فى حالة اليهود) . وما خلا هذا فالطائفتان يعيشون فى إطار الثقافة المصرية العامة كما هو معروف .

وثمة قيمة مهمة متولدة من تلك المسيرة الحضارية بالنسبة لموضوعنا وهى التى يمكن تلخيصها فى الاعتدال والتسامح والوسطية التى لا تقبل التغيير إلا بقدر يسير يأتى مع الثورات الكبرى والاضطرابات الاجتماعية ، وهذه الوسطية مسئولة إلى حد كبير عن تعثر شيوع أفكار التطرف يميناً ويساراً ، وشيوع حرية الاختيار الثقافى . . .

للموضوع بقية